

الأميش.. طائفة دينية توقف بها الزمن عند القرن السادس عشر



هل تتخيل كيف كانت الحياة قبل 300 سنة، بلا كهرباء أو هواتف أو سيارات أو غسالات كهربائية أو ثلاجات كهربائية أو أي مظهر من مظاهر التكنولوجيا الحديثة؟! هل هززت رأسك رافضاً الفكرة لأنك تظن أن الحياة دون هذه الوسائل مستحيلة؟! إذاً عليك التعرف على حياة طائفة الأميش Amish التي تستوطن بعض ولايات أمريكا، واختارت أن تلتزم بحياة أسلافها الذين هاجروا إلى أمريكا من جنوب ألمانيا وسويسرا والألزاس بشرق فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر هرباً من الاضطهاد الديني، فانعزلوا بمحض إرادتهم عن أي اتصال مع العالم الخارجي ومحاولات دمجهم مع الثقافات والمجتمعات الأخرى، ونبذوا كل وسائل التكنولوجيا الحديثة، وما زالوا يعيشون بلا كهرباء أو هواتف، ويركبون عربات تجرها الخيول!

من الأميش؟

طائفة مسيحية منشقة عن طائفة المينونايت Mennonite، وتأسست على يد "جيكوب أمان" بعدما ادعى تساهل طائفة المينونايت مع تعاليم الإنجيل الأصلية.

وطائفة الأميش ترى أن الخلاص والفلاح يتمثل في التمسك بتعاليم الإنجيل الحرفية في كل نواحي الحياة والرجوع إلى تعاليم المسيحية الأولى، ورفض سلطة الكنيسة وعدم الاعتراف بالبابا، وبلجأون في كل أمورهم وشؤون حياتهم إلى استشارة ما يُعرف بـ "مجلس الأعيان"، الذي يفتي في كل صغيرة وكبيرة وهل تتماشى مع تعاليم الإنجيل أو تخالفه، حيث يُعد السلطة العليا لدى الأميش.

والأميش مجموعة بروتستانتية تؤمن بتجديد التعميد بعد سن الرشد Anabaptist، فلا يؤمنون بتعميد الطفل رغماً عنه، بل يؤمنون أن رغبة المرء في أن يكون مسيحياً، ينبغي أن تكون رغبة راشدة، يقرها المرء بنفسه بين سن 16 إلى 25، ولذلك لا يعتبرون أبناءهم على ديانة الأميش حتى يجري تعميدهم بعد الوصول لسن الرشد، كما أن التعميد شرط من شروط الزواج الذي لا يسمح به إلا داخل الطائفة.

واختيار التعميد أو ترك الطائفة قرار صعب، يُسمح للمراهق بترك مجتمعه من أجل تجربة الحياة الحديثة في العالم الخارجي بشكل مؤقت قبل التعميد، حيث يطلق على هذه المرحلة رومسبرينجا Rumspringa، وهو ما كل لتجريب المرحلة هذه المراهقين بعض ويستغل، 16 إلى 14 سن بين وتبدأ، Rumspringa، محرم على الأميش، من استخدام الهواتف الخلوية، وارتداء النوادي الليلية وشرب الكحول وربما يمتد التجريب إلى المخدرات وممارسة الجنس المحرم قبل الزواج على الأميش.

كما يتسامح الأميش مع المراهقين وأفعالهم، لأنهم قبل التعميد لا يعتبرون من الأميش، لكنهم صارمون جدًا مع من تم تعميده، إذ يهجون الأعضاء الذين لا يلتزمون بمبادئهم وتعاليم الإنجيل الحرفية، فيقاطعونهم مقاطعة تامة ولا يكلمونهم أو يتعاملون معهم، بهدف الضغط عليهم لكي يتوبوا ويعودوا إلى حظيرة الإيمان.

عودة الابن الضال

والغريب أن الشباب الذين يجربون الحياة المدنية الحديثة، يعودون مرة أخرى إلى مجتمع الأميش بكامل إرادتهم، فنحو 80% "4 من كل 5" من شباب الأميش، ينتهون من مرحلة الرومسبرينجا Rumspringa وهم على استعداد تام للعودة لحظيرة الإيمان واختيار التعميد، حيث يرى كبار الطائفة أن السبب في ذلك يعود إلى أن حياة الأميش رغم بساطتها، تُغلفها السعادة والترابط الأسري القوي، على عكس ما تصبغه الحياة الحديثة والسريعة على الأسر الأخرى برغم كل ما فيها من وسائل متقدمة وسبل رفاهية.

في حين يرى البعض أن السبب في عودة الأبناء، مدى الترابط الأسري الحميم الذي عايشوه، وعدم قدرتهم على مغادرة الأسرة والتخلي عنها.

أين يستقرون وكيف يعيشون؟!

وفي البدء، عندما أتت طائفة الأميش من أوروبا في القرن السادس عشر، استقرت في بنسلفانيا بشمال شرق أمريكا وأوهايو وأنديانا بشمال أمريكا، ثم انتشرت في 28 ولاية أمريكية، بالإضافة إلى مقاطعة أونتاريو الكندية.

وخلال بحثهم الدؤوب عن أراضٍ زراعية منخفضة السعر، وبعيدة عن المدنية، بدأ الأميش في الاستقرار في ولايات أخرى مثل أركنسو وكولورادو ومين وميسيسيبى وفرجينيا الغربية، كما تضاعف عدد أبناء هذه الطائفة في عشر ولايات بشكل كبير، مثل فرجينيا +400%، وكنتاكي +200%، ومونتانا +150%.

أسرة أميشية

ويرى الباحثون وعلى رأسهم دونالد كرايبيل، أن السبب في تزايد أعداد أعضاء الطائفة يرجع لعدة أسباب، أولها كثرة النسل، حيث تنجب العائلات ما لا يقل عن 5 أطفال ويصل حتى 10 أطفال، وثانيها استقرار الشبان وعودتهم من رحلتهم إلى العالم الخارجي وارتياحهم لنمط العيش داخل الطائفة، حيث الهوية والانتماء إلى طائفة مترابطة أسريًا ودينيًا، حيث تزايد عددهم إلى 231 ألف عام 2008، مقابل 125 ألفًا عام 1992، بزيادة قدرها 84%.

والأميش طائفة لا تؤمن بالكهرباء واستخداماتها ولا بالسيارات، ويستخدمون عوضًا عنها العربات التي تجرها الخيول، كما لا يتعاملون بالنقود الحكومية الورقية إلا في بعض الحالات طارئة، كما أصدر مجلس الأعيان فتوى بجواز ركوب سيارة للضرورة بشرط ألا يقودها الأميشي بنفسه.

ولا يؤمن الأميش بإدخال أطفالهم للمدارس، واحترامًا لمعتقداتهم، صدر عام 1972، قانونًا خاصًا يستثني طائفة الأميش من التدريس الإلزامي في المدارس، حيث يعلمون الأميش أبناءهم في مدارسهم الخاصة ذات الفصل الواحد، حتى الصف الثامن، ثم يتوقفون عن الدراسة للالتحاق بتدريب مهني أو

حرفي يخدم مجتمعهم ويفيدهم في النواحي الحياتية، تحت إشراف أولياء أمورهم والمشرفين المدرسيين.

إحدى مدارس الفصل الواحد الأميشية

كما أنهم لا يؤدون أي نوع من أنواع الخدمة العسكرية، ومُعفيون من دفع ضريبة الضمان الاجتماعي لأنهم يرفضون أن يتلقوا مستحققاتها ويؤمنون بالتكافل بدلاً منها، فهم يتكاتفون فيما بينهم ويمدون يد العون المادي والمعنوي لبعضهم البعض عند وقوع المصائب. وبالطبع لا يشترطون أي بوليصات للتأمين، ولا يترشحون للانتخابات ولا يأخذون أي معونات من الحكومة، لكنهم يدفعون ضرائب عن الدخل والممتلكات ويلتزمون بالقانون. كما أنهم يتحدثون ثلاث لغات، الهولندية البنسلفانية "وهي خليط من الألمانية والهولندية" والألمانية القديمة فيما بينهم وفي صلواتهم، والإنجليزية في المدارس ومع جيرانهم. ملابس أميشية تقليدية

وتطبيقًا لتعاليم الإنجيل الحرفية وحرصًا من الأميش على التواضع وعدم التفاخر والظهور، ترتدي النساء فساتين طويلة ساترة ذات لون واحد، لا تحمل أي نقوش أو زركشات، كما يلتزم بتغطية رؤوسهن بمناديل، لأن تغطية الرأس شرط من شروط صلاة المرأة عند الأميش.

أما الرجال فيضعون على رؤوسهم قبعات سوداء في الشتاء، وأخرى من القش في الصيف، وتخلو ستراتهم من أزرار، لأنها كانت تعد في أوروبا علامة من علامات الفخر والثراء والمنصب الحكومي أو العسكري الذي ينبذه الأميش.

شباب من الأميش

والشبان والفتيات في طائفة الأميش يتواعدون في حدود معينة، من أجل الزواج، حيث إن الزيجات بالاختيار لا مدبرة من قبل الأهل، كما في بعض المجتمعات المحافظة الأخرى، لكن الجنس خارج نطاق الزواج محرم تمامًا.

الفرد من أجل الجميع، والجميع من أجل الفرد

مجموعة من الأميش يساعدون بعضهم البعض في بناء حظيرة

وتنحصر ممارسة الأميش الدينية في مفهومين أساسيين، هما رفض الغطرسة والفخر والكبرياء، وتعظيم التواضع والإيثار والاستقرار والهدوء، حيث يتجلى مفهوم "إنكار الذات" في العقيدة الأميشية، واستحضار إرادة يسوع، عبر التماهي في الجماعة، والبُعد التام عن الفردية الشائعة في المجتمع الأمريكي.

فمثلًا من بعض أسباب رفضهم للكهرباء أنها تتسبب في تقليل الاعتمادية على المجتمع، كما أن التنافس في إنتاج سلع كهربائية مثلًا، قد يثير الصراع بين أبناء المجتمع ويؤدي إلى تشرذمهم.

ويُنظم نمط الحياة اليومية لدى طائفة الأميش عن طريق تعاليمهم المعروفة بـ "الأوردنونج" والتي تعني بالألمانية "النظام"، والذي يختلف من مجتمع أميشي لآخر، كما قد يختلف من منطقة إلى منطقة، فما هو مقبول في أحد المجتمعات الأميشية، قد لا يكون مقبولًا في مجتمع آخر.

ويرى الأميشيون أن الحمل بالأطفال وتربيتهم وتنشئتهم الاجتماعية على القيم والأخلاق وإقامة علاقات طيبة مع الجيران والأقارب، أعظم الوظائف والواجبات المنوطين بها، حيث يؤمنون أن الأسر الكبيرة المتحابة، نعمة من نعم الله.

العمل في أحد الحقول الزراعية الأميشية

وكما أشرنا سابقًا، فالعائلة الأميشية قد يصل أعداد أطفالها إلى 10 أطفال، وغالبًا ما تحتوي المنازل على عدة أجيال أسرية، ومنازل الأميش كبيرة، حيث عادة ما تكون المنازل عبارة عن منزلين أو ثلاث متصلة فيما بينها بممرات تربط منازل الجد والابن والحفيد ببعضها البعض، كما تتميز منازلهم بأن لكل منزل زريبة وإسطبل وأرض زراعية كبيرة.

ولا يعترف الأميش بالكنائس، حيث يؤمنون أن الكنيسة بأعضائها لا مبانيها، لذلك لا يقومون بتخصيص مبانٍ معينة لأداء الصلوات والعبادات، بل يقيمون صلوات الأحد في بيوت بعضهم وجدير بالذكر أن طائفة الأميش تحرم الموسيقى، وفي تراتيلهم الدينية في أيام الأحاد، لا يستخدمون إلا الإنشاد الصوتي فقط.

امراتان من الأميش تتهيان لصلاة يوم الأحد

ولا يؤمن الأميش بالتبشير، لكنهم رغم ذلك يتقبلون دخول غير الأميش إلى طائفتهم، لكن ذلك لا يحدث إلا نادرًا جدًا وبعد التأكد من قدرة من عاش ونشأ خارج المجتمع الأميشي على التكيف مع تعاليمهم وقواعد دينهم وحياتهم.

الرغبة في الانفصال عن العالم

صورة من داخل أحد المنازل الأميشية

ومن الأسباب الرئيسية لتحريم الأميش استخدام الكهرباء، أن الخطوط التي تمتد المنازل وغيرها بالتيار الكهربائي، تُعد نوعًا من الاتصال بالعالم الخارجي، وتحريم الاتصال بالعالم الخارجي واحد من أهم تعاليم ومفاهيم الأميش، ولذلك نراهم لا يمانعون في استخدام البطاريات، لأنها لا تجعلهم مرتبطين بشكل مباشر بالعالم الخارجي.

ويعتمدون على استخدام الهواء ومحركات الطاقة الهيدروليكية من أجل تشغيل الآلات التي يستخدمونها في الزراعة، وماكينات الخياطة والغسيل البدائية في المنازل، كما أنهم يعتمدون على الغاز الطبيعي، في إضاءة المنازل وتسخين المياه ومواقد الطبخ وتشغيل الثلاجات الخاصة بهم.

القبول بالظلم عن طيب خاطر

حادث إطلاق النار على مدرسة أميشية في أكتوبر 2006

السبب الرئيسي لعدم انضمام أفراد طائفة الأميش للخدمة العسكرية، التزامهم التام بمبدأ اللاعنف ونهج عدم المقاومة resistance-non، حيث يؤمنون بضرورة عدم الرد على أي اعتداء يقع عليهم، ولذلك لا يؤدون أي نوع من الخدمة العسكرية، ولا يرفعون القضايا القانونية ولا يطالبون بأي تعويضات مقابل أي ضرر يقع عليهم، ويفضلون أن يقبلوا بالظلم بدلًا من ذلك.

والدة إحدى الضحايا

فمثلًا، عندما وقع في الثاني من أكتوبر عام 2006، اعتداءً بشعًا على إحدى مدارس الأميش في مقاطعة لانكستر، حين فتح مسلح النار على طلبة مدرسة من مدارس الأميش، فقتل 6 وأصاب خمسة آخرين قبل أن ينتحر.

كان رد أفراد الطائفة، التسامح الفوري والعفو الكامل عن القاتل، بل إن جد إحدى الفتيات المقتولات صرّح آنذاك أنه لا ينبغي اعتبار هذا الرجل شرير، ويجب تقديم العون إلى أسرته.